المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: 70 ـ 71].

أما بعد:

فإن موضوع فقه التمكين في القرآن الكريم يحتاج لبحث تحليلي عميق؛ لخطورته ولأهميته في حياتنا المعاصرة؛ حيث إن الأمة تمر بفترة عصيبة من تاريخها فهي في أشد الحاجة لفهم فقه التمكين حتى ترسم أهدافها، وتسعى لتحقيق آمالها وفق سنن الله الجارية في الشعوب والأمم والمجتمعات والدول. ولقد لاحظت في دراستي للقرآن الكريم أن أصول فقه التمكين واضحة المعالم في كتاب الله الكريم، فما على الباحث إلا أن يجمعها ويرتبها ويحللها، ويبين أثرها في حياة الأمة عندما حَرصت على تطبيقه في كافة شؤون حياتها وماذا أصابها عندما ابتعدت عن كتاب ربها وسنة نبيِّها ﷺ، إن وصول الأمة الإسلامية في هذا الزمان إلى التمكين ليس بالأمر السهل، ولكنه كذلك ليس بالأمر المستحيل، إذ على الرغم من التضييق الشديد، والحرب الضروس التي تشن على الإسلام والمسلمين، إلا أن كثيراً من المسلمين يرون أن التمكين لدين الله قاب قوسين أو أدنى من ذلك، ومهما رأى الأعداء أن التمكين للإسلام بعيد يشبه المستحيل؛ فإن المسلم واثق بوعد الله أن الأرض يرثها عباده الصالحون. وهذا ليس من باب الأحلام والتمنيات، ولكن من باب الثقة في الله تعالى،

obeikandl.com

واليقين بوعده. إن كثيراً من علماء الأمة وطلاب العلم فيها أجادوا في التصنيف في فنون متعددة ومتنوعة من علوم الدين كما أنهم أفادوا الأمة في شرح الداء الذي أصيبت به الأمة، وفي بيان المؤامرات التي تحاك ضدها من قبل اليهود والنصارى وأعداء الإسلام، وبينوا شراسة الحملة التي شنها أعداء الإسلام بضراوة، وبكل الصور والأساليب على الأمة الإسلامية لتثبيط المسلمين، وخنق الأمل في صدورهم، وبث روح الهزيمة النفسية بين جوانحهم حتى لا ترتفع رؤوسهم، ولا تقوى عزائمهم، فيظلون في ذلك الضعف والهوان الذي صاروا إليه، فيصل بهم الأمر إلى الذوبان، والضياع، والتمزق بين سطوة الأمم التي تداعت عليها كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

لقد تحدث بعض الخطباء والوعاظ عن مشاكل الأمة، وفساد أحوالها، بصورة تنشر اليأس، وتؤصد أبواب الأمل في وجه أبناء الأمة الغيورين، وشاعت روح الهزيمة بين صفوفهم، وأصبحنا كثيراً ما نسمع من يقول: ماذا نفعل؛ ضاع الإسلام والمسلمون!.. ويقفون على ذكريات الماضي، ويتغنون بأمجاده، فأدركت أن الأمر كبير، والقضية خطيرة. ورأيت أن الأمة في أمس الحاجة إلى من يرد إليها ثقتها بربها، ومنهجها.. في حاجة إلى من يوقظ الإيمان في قلبها، ويرشدها للأخذ بأسباب التمكين وشروطه، ويبين لها طبيعة الطريق، وكيفية السير فيه، ويوضح لها المعالم لتعرف كيف تعمل؛ وإلى أين تسير!

إن الأمة في أشد الحاجة إلى فهم فقه التمكين والعمل به، وعلى حد اطلاعي المحدود على هذا الفقه تعتبر أبحاثه جديدة حيث بدأت الكتابة فيه والإشارة إلى أهميته مؤخراً، وقد ظهرت بعض الكتب القيمة كالرسالة العلمية التي قدمت للأزهر الشريف للباحث محمد يوسف بعنوان: «التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم»، وما كتبه الدكتور علي جريشة في كتابه: «دعوة الله بين التكوين والتمكين»، والدكتور علي عبد الحليم في كتابه «فقه الدعوة إلى الله»، و«فقه المسؤولية»، وقد رأيت أن مادة فقه التمكين من أهم الأبحاث والأطروحات التي يجب أن يهتم بها الباحثون، ولذلك استعنت بالله ثم بشيوخي الكرام، وأخص بالذكر الدكتور أحمد محمد جلي للخوض في بحر فقه التمكين. وعزمت على معالجة هذا الموضوع والبحث فيه، على أمل أن يسهم في إضاءة شمعة في طريق الأمة في سيرها إلى القوة والمجد والتمكين.

إن مادة فقه التمكين في القرآن غزيرة جداً، حيث نجد أن القرآن الكريم تكلم عن أنواع التمكين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 21]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ [يوسف: 56].

فإذا تأملت في الآيتين تلاحظ أن الآية الأولى أشارت للتمكين الجزئي ليوسف عليه السلام، والآية الثانية للتمكين الكلي في حقه كما نجد أن القرآن الكريم أشار إلى أسباب التمكين المعنوية والمادية في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]، وأشار القرآن الكريم إلى شروط التمكين في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55]، وأشار القرآن الكريم إلى مراحل التمكين في قصة بني إسرائيل من زمن موسى عليه السلام إلى العصر الذهبي في زمن داود وسليمان ـ عليهما السلام.

وأشار القرآن إلى أهداف التمكين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج: 41]، كما أشار القرآن الكريم إلى سيرة بعض المصلحين من الأنبياء والمرسلين وبين صفاتهم التي أهلتهم إلى أن أكرمهم الله بالتمكين كيوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56]، وكسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ إلى أن قال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36] ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39]. وأشار القرآن الكريم إلى تمكين الله لذي القرنين وصفاته الربانية، وشكره لله على نعمة التمكين، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95].

وأشار القرآن الكريم إلى صفات جيل التمكين قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: 54].

لقد قمت بدراسة الآيات السابقة من خلال أقوال المفسرين والعلماء والفقهاء، لنسترشد بها في معالجة واقع المسلمين المعاصر، حتى يتضح شيء من معالم فقه التمكين الذي نحن في أشد الحاجة إليه، وحاولت أن أستشهد بسيرة النبيّ ﷺ على التطبيقات العملية لفقه التمكين، وحرصت على دراسة السيرة النبوية دراسة متأنية مع التأمل بالإضافة لسيرة الخلفاء الراشدين؛ حيث يعتبر عصرهم مدرسة مهمة في تطبيق هذا الفقه، وتعرضت للحركات الإسلامية التي كان لها أثر في القرنين الماضيين والتي تركت معالم نيرة في فقه التمكين، والتي توارثتها الحركات الإسلامية المعاصرة، محاولاً إبراز فقه التمكين عندها، ومناهج الإصلاح والتغيير التي انتهجتها في سعيها لتمكين الإسلام في هذا الزمان.

لقد كان اختياري لهذا الموضوع لأسباب من أهمها:

1 ـ رغبتي في بحث يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فيقدم ما ينفع لعصرنا مما قرره علماء التفسير، فيكون فهمنا لفقه التمكين مستفاداً من فهمهم، فيجمع بذلك بين حفظ أقوالهم، وتقديم الحلول الصحيحة للمشكلات التي تتعرض لها الأمة في سعيها للتمكين.

2 ـ بيان ضوابط وقواعد، ورسم معالم وحدود نفهم بها حقيقة فقه التمكين، من خلال إبراز أنواعه وأسبابه وشروطه ومراحله وأهدافه.

3 ـ محاولة لَمِّ شعث موضوع فقه التمكين في رسالة علمية تعطي فكرة متكاملة عن موضوعه.

4 ـ دحض شُبَهِ المغرضين، وتفنيد آراء المفترين، الذين يتهمون ديننا بالجمود والقصور وعدم الوفاء بمتطلبات العصر وأنه ليس له القدرة على خوض معارك التغيير والوصول بالأمة نحو التمكين الشامل لدينها من خلال دولة تحكم بشرع الله تعالى.

منهجي في البحث:

لقد كانت كتابتي في هذا الموضوع ضمن منهج معين التزمت به قدر الإمكان، وهذا المنهج فيما يأتي:

1 ـ الرجوع إلى المصادر الأصلية في البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

2 ـ الحرص على التزام الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائليها، وبذل الجهد في نقل قول كل قائل من مصدره على قدر المستطاع.

3 ـ الحرص على تدعيم البحث بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ونصوص العلماء مع تمييز كل ذلك بعلامات التنصيص والأقواس.

4 ـ بيان مواضع الآيات القرآنية الكريمة في المصحف الشريف، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

5 ـ تخريج الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا الرسالة من كتب الأحاديث المشهورة.

6 ـ تخريج الأبيات الشعرية من دواوين قائليها إن تمكنت من ذلك، وإلا ذكرت من ذكرها من العلماء.

7 ـ الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة.

8 ـ شرح المصطلحات والكلمات الغريبة.

9 ـ وضع فهارس علمية في آخر الرسالة تسهل الاستفادة منها وهي كالآتي:

أ ـ فهرس المصادر والمراجع.

ب ـ فهرس الموضوعات.

هذا، وإني بذلت ما في وسعي في معالجة قضايا هذا البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، غير أن قلة بضاعتي، وصعوبة هذا البحث، وتشعب مباحثه ثنتني عن كثير مما أردت.

ولا يفوتني ـ في الختام ـ أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي وشيخي الجليل فضيلة الدكتور/ أحمد محمد جلي الذي أكرمني الله تعالى به للإشراف على هذه الرسالة، ولقد كان ـ حفظه الله ـ مثالاً حسناً للأخلاق الفاضلة، ونموذجاً حياً للصدق والإخلاص، والتواضع، والكرم، وبشاشة الوجه.

ولقد أفادني بتوجيهاته المفيدة، وآرائه السديدة، وتعليقاته النفيسة ولقد أعطاني من وقته وتوجيهاته ما ذلل أمامي عقبات كثيرة في البحث، لقد كان حفظه الله تعالى ـ بعد الله ـ عوناً مخلصاً، وكنت إذا ما واجهتني مشكلة في البحث، أتصل به، فأجد من فضيلته كل ترحيب وتقدير، فالله أسأل أن يثيبه وأن يجزيه أحسن الجزاء، وأن يطيل عمره في طاعته وأن يبارك له في وقته وأهله وماله.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي وإخواني الذين وقفوا معي بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا البحث فأسأله سبحانه أن يجزيهم عني خير الجزاء، وأن يعينهم على أداء واجبهم إنه سميع قريب.

كما أسأله سبحانه أن يمنَّ علينا بنعمة الإيمان والعيش مع القرآن والعمل للإسلام مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وأن يجعل ما قدمنا حجة لنا لا حجة علينا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الدكتور

علي محمد الصّلاّبي

obeikandi.com

obeikandl.com

تمهيد

هذا تمهيد مختصر يعطي نبذة موجزة عن المصطلحات المتعلقة بعنوان البحث:

أولاً: الفقه له معنيان، معنى لغوي، ومعنى اصطلاحي:

أ ـ والمعنى اللغوي فيه ثلاثة أقوال:

1 ـ الفقه: مطلق الفهم سواء كان غرضاً للمتكلم أم لغيره. وهذا الذي عليه أئمة اللغة واستدلوا له بما ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في شأن الكفار: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء 78]، ومثل قوله تعالى على لسان قوم شعيب عليه السلام: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: 91]، فيستفاد ويفهم من الآية الأولى: أن فهم أي حديث ولوكان واضحاً سمي فقهاً، ويفهم من الآية الثانية؛ أن قوم شعيب عليه السلام كانوا يفهمون بعض كلامه[1].

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ [لإسراء 44]، وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: 27 ـ 28].

وقوله: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[2].

2 ـ الفقه: هو فهم غرض المتكلم من كلامه سواء كان الغرض واضحاً أم غير واضح، فلا يسمى فهم ما ليس غرضاً للمتكلم فقهاً كفهم لغة الطير مثلاً.

3 ـ الفقه: هو فهم الأشياء الدقيقة، فلا يقال: فقهت أن السماء فوقنا والأرض تحتنا[3]

---

(1) انظر: لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين بن منظور (باب الهاء، فصل الفاء، 13/ 522).
(2) البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (1/ 30) رقم 71.
(3) شرح الأسنوي (1/ 15)، أصول الفقه لأبي زهير (1/ 6).

وهذا مردود بما قاله أئمة اللغة أن الفقه هو مطلق الفهم. وامتناع قولهم: فقهت السماء والأرض إنما هو من ناحية أن الفقه يتعلق بالمعاني لا بالمحسوسات، والسماء والأرض من قبيل المحسوسات.

والراجح من هذه المعاني هو المعنى الأول للفقه، الذي هو مطلق الفهم ويقال: فَقِهَ بكسر القاف: أي فهم، وفَقُهَ بالضم: صار الفقه له سجية وملكة، وفَقَهَ بالفتح: سبق غيره إلى الفهم[1].

ب ـ المعنى الاصطلاحي للفقه:

يراد بالفقه في اصطلاح الفقهاء والأصوليين: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[2]. أو هو: العلم بالأحكام الشرعية الفرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية[3].

جـ ـ التطور التاريخي لكلمة (فقه):

أذن النبيّ ﷺ لبعض الصحابة في الاجتهاد بعد أن توفرت فيه شروطه، وبسبب ابتعادهم عن النبيّ ﷺ وتعذر مراجعتهم له حين حدوث الواقعة؛ كمعاذ بن جبل رضي الله عنه[4] حين بعثه إلى اليمن معلماً وقاضياً وكان الصحابة الذين يجتهدون في بعض الوقائع الخاصة يعرضون اجتهادهم على النبيّ ﷺ بنية إقرارهم أو توجيههم إلى الصواب، ومع ذلك لم يشع إطلاق اسم الفقهاء عليهم، وإنما كانت هذه الكلمة ترد في توجيهات الرسول ﷺ وعلى ألسنة الصحابة والتابعين وكان معناها عندهم يقصد به أصحاب الفطنة والبصيرة النافذة في أحكام الدين، ومعاني النصوص من الكتاب والسنة. ففي الحديث يقول ﷺ: «**نضَّرَ اللهُ امرأً سمعَ منّا حديثاً فحَفِظَهُ حتى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أفقَهُ مِنْه، ورُبَّ حامِلِ فقهٍ ليسَ بفَقيه**»[5]، فدل الحديث على تفاوت الناس في فهم معاني النصوص وما ترمي إليه عند استخلاص الأحكام منها[6]. ومن هنا يتضح أن إطلاق كلمة (الفقه) كانت تعني العلم بأحكام الدين على وجه العموم والشمول سواء كان فقه العقيدة، أو فقه التفسير، أو فقه الحديث،

---

(1) انظر: أصول الفقه الإسلامي للدكتور حسن الأهدل، ص 10.
(2) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني، ص 384.
(3) انظر: شرح الكوكب المنير للفتوحي، ص 11.
(4) هو معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري البدري، من أعلم الصحابة بالحلال والحرام، توفي في طاعون عمواس سنة 18 هـ وعمره ست وثلاثون سنة. سير أعلام النبلاء (1/ 443 ـ 460).
(5) أبو داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم (3/ 322) رقم 3660.
(6) انظر: المدخل إلى الفقه الإسلامي للدكتور عبد الله الدرعان، ص 31.

أو فقه الفتيا في أمور العبادات، والمعاملات، فيكون المقصود (بالفقهاء) هم العلماء في أمور الدين الإسلامي جملة، أما في أوساط عهد التابعين، فقد أخذت كلمة (الفقه) مدلولاً أخص من مدلولها الأول، فلا تطلق إلا على علم الأحكام الشرعية العملية؛ التي يتوصل العلماء إلى استنباطها من الأدلة التفصيلية، واشتهر من اشتغل بهذا الجانب (بالفقهاء) فقيل: فقه الإمام أحمد[1] وفقه الإمام الشافعي[2]، وفقه الإمام مالك[3]، وفقه الإمام أبي حنيفة[4]، وهكذا[5].

ثانياً: التمكين في اللغة والاصطلاح:

أ ـ التمكين في اللغة:

مصدر الفعل (مكَّن) الذي يتكون من الحروف (م، ك، ن) يقال: (مكنه) الله من الشيء (تمكيناً) و(أمكنه) منه بمعنى، واستمكن الرجل من الشيء و(تمكن) منه بمعنى، وفلان لا(يمكنه) النهوض أي لايقدر عليه[6].

ومن التمكين: المِكنة تقول العرب: إن فلاناً لذو مكنة من السلطان أي تمكن[7] وتسمي العرب موضع الطير مَكِنَة لتمكن الطير فيه[8] والمكانة عند العرب هي المنزلة عند الملك. والجمع مكانات، لا يجمع جمع تكسير، وقد مكن مكانة فهو مَكين، والجمع مُكَناء.

والمتمكن من الأسماء: ماقَبِل الرفع والنصب والجر لفظاً[9].

فالتمكين في اللغة: سلطان وملك.

وقد أشار المولى ـ ﷻ ـ إلى ذلك في قوله تعالى عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84].

---

(1) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني ولد عام 164 هـ، وتوفي عام 241 هـ. انظر: تقريب التهذيب، ص 84.

(2) هو محمد بن إدريس بن هاشم المطلبي، ولد عام 150 هـ، وتوفي عام 204 هـ. تقريب التهذيب، ص 467.

(3) هو أبو عبد الله مالك بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ولد عام 93 هـ، وتوفي عام 179 هـ. تقريب التهذيب، ص 223.

(4) هو النعمان بن ثابت الكوفي، فقيه مشهور، مات عام 150 هـ، تقريب التهذيب، ص 563.

(5) انظر: المدخل إلى الفقه الإسلامي للدكتور عبد الله الدرعان، ص 31.

(6) انظر: مختار الصحاح لأبي محمد الرازي، ص 630.

(7) انظر: لسان العرب، باب النون، فصل الميم 13/ 414.

(8) المصدر نفسه، باب النون، فصل الميم 13/ 414.

(9) المصدر السابق نفسه، 13/ 415.

والمعنى: أن الله مكن لهذا العبد الصالح في الأرض، فأعطاه سلطاناً قوياً، ويسر له كل الأسباب التي تدعم هذا السلطان، وأعطاه من كل شيء مما يحكم السلطان ويقويه، وكذلك الشأن في حديث القرآن الكريم عن نبي الله يوسف بن يعقوب، عليه السلام، فقد مكن الله ليوسف في الأرض ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف 56 ـ 57].

ب ـ التمكين في الاصطلاح:

هو السعي الجاد من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة في دنيا الناس.

وقد عرّفه الشيخ الدكتور علي عبد الحليم بقوله: «هو الهدف الأكبر لكل مفردات العمل من أجل الإسلام، فالدعوة بكل مراحلها وأهدافها ووسائلها، والحركة وكل مايتصل بها من جهود وأعمال، والتنظيم وما يستهدفه في الدعوة والحركة، والتربية بكل أبعادها وأنواعها وأهدافها ووسائلها بحيث لا يختلف على ذلك الهدف الأكبر أحد من العاملين من أجل الإسلام، كل العاملين مهما اختلفت برامجهم ـ بشرط أن تكون هذه البرامج والخطط نابعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وليس فيها شيء مما يغضب الله ـ لا يستطيعون أن يختلفوا في أن التمكين لدين الله في الأرض هو الهدف الأكبر في كل عمل إسلاميّ»[1]؛ حتى يكون سلطان الدين الإسلاميّ على كل دين ونظام، والحكم بهذا الدين على البشرية كلها، وهذا التمكين يسبقه الاستخلاف والملك والسلطان، ويعقبه أمن بعد خوف[2].

وعرّفه الأستاذ محمد السيد محمد يوسف بقوله: «دراسة الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عن الأمة الإسلامية، والمقومات التي تُرجع الأمة إلى التمكين، والعوائق التي تعترض العمل للتمكين، ودراسة طبيعة الطريق إلى التمكين، وكذلك المبشرات على هذا الطريق، وذلك كله في ضوء القرآن الكريم مع الاستعانة بأحاديث النبيّ العظيم ﷺ»[3].

وعرّفه الأستاذ فتحي يكن بقوله: «بلوغ حال من النصر، وامتلاك قدر من القوة وحيازة شيء من السلطة والسلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع، وهو لون من ألوان الترسيخ في الأرض، وعلو الشأن»[4].

---

(1) انظر: فقه المسؤولية، ص 358.
(2) انظر: فقه الدعوة إلى الله (2/ 713، 714).
(3) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم 3، ص 13.
(4) انظر: مجلة المجتمع العدد 1249، 6 محرم 1418 هـ = 13 مايو 1997م.

ثالثاً: القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح:

أ ـ معنى القرآن في اللغة:

القرآن من مادة قرأ، ومنه: قرأت الشيء فهو قرآن: أي جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فمعناه: الجمع والضم. ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة جنيناً، أي لم تضم رحمها على ولد[1].

قال أبوعبيدة[2] رحمه الله: «...وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 17]، أي: تأليف بعضه إلى بعض...» ثم قال؛ وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل: 98]، أي: إذا تلوت بعضه في إثر بعض، حتى يجتمع، وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع، ثم استشهد على هذا المعنى، بقول عمرو بن كلثوم[3]:

ذراعَـــي حُـــرّةٍ أدمـــاءَ بـــكـــرٍ هـجـان اللّـون لـمْ تَـقْـرَأْ جَـنـيـنـا[4]

أي: لم تضم في رحمها ولداً قطّ[5]، فسمي القرآن قرآناً، لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض[6].

يذكر أبو بكر الباقلاني[7]: أن القرآن يكون مصدراً واسماً: مصدراً كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 17]، واسماً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]. ويروى عن الشافعي ـ رحمه الله: أن القرآن اسم علم لكتاب الله، غير مشتق: كالتوراة والإنجيل[8].

---

(1) انظر: الصحاح للجوهري، مادة قرأ (1/ 65).

(2) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة 110 هـ، وتوفي سنة 209 هـ، وقيل: 210 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (9/ 445).

(3) هو عمرو بن كلثوم التغلبي، من أصحاب المعلقات السبع ومن كبار شعراء الجاهلية. انظر: شرح المعلقات السبع، ص 180.

(4) انظر: شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، ص 380.

(5) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر التيمي (1/ 1 ـ 3).

(6) انظر لسان العرب، باب الهمزة، فصل القاف (1/ 128).

(7) هو إمام المتكلمين ورأس الأشاعرة أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي، المعروف بابن الباقلاني البصري المالكي صاحب المصنفات، وكان له حظ في العبادة، توفي سنة 403 هـ. انظر: شذرات الذهب (3/ 167).

(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (2/ 298).

obeikandi.com

قال القرطبي[1] رحمه الله: «والصحيح الاشتقاق في الجميع»[2] أي في القرآن والتوراة والإنجيل.

ب ـ معنى القرآن في الاصطلاح:

القرآن الكريم هو اسم لكلام الله تعالى، المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ، وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولايسمى به شيء غيره من سائر الكتب[3]، وإضافة الكلام إلى الله تعالى إضافة حقيقية، من باب إضافة الكلام إلى قائله.

ولما ظهر الخوض في صفات الله تعالى، وفي كلام الله خاصة، من قبل الزنادقة، وفرق المبتدعة، احتاج أهل السنة إلى تعريف القرآن تعريفاً يظهرون فيه معتقدهم في صفات الله تعالى عامة، وفي صفة الكلام خاصة، ومنه القرآن مخالفين بذلك أهل البدع من الجهمية[4] والمعتزلة[5] وغيرهم.

قال أبو جعفر الطحاوي[6] رحمه الله: «وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»[7].

---

(1) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تفقه على مذهب الإمام مالك، واعتنى بتفسير القرآن الكريم، توفي رحمه الله سنة 671 هـ. انظر: المذهب لابن فرحون (ص 317، 318).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (2/ 298).

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) هم أتباع جهم بن صفوان الخراساني، توفي عام 128 هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (6/ 26).

(5) أتباع واصل بن عطاء، وهم يقولون بخلق القرآن وغير ذلك من البدع. الملل والنحل (1/ 43).

(6) هو أحمد بن سلامة الأزدي المصري من صعيد مصر، توفي عام 321 هـ. انظر: البداية والنهاية.

(7) شرح الطحاوية، (ص 121، 122).

obeikandl.com